مالم ينشر من الأسرار

الوزير الانجليزى الذى جعلنى فدائيا .. !
قرفنا نسف السفارة على رأس كيلرن !
المحكوم عليهم فى قضية ابراهيم الفلاح - ابرياء !

بقلم
أنور السادات

طلب منى رئيس تحرير هذه المجلة أن أكتب هذه الصفحة لهذا العدد على غير ما تعودت أن أكتبها . فقد أصر على أن أكتب من ذكرياتى عن الجلاء ... وجلست أفكر فى امر الجلاء ...

ولم يطل بى التساؤل ، فقد عادت بى الذاكرة الى أيام أن بدأت أحس واعى وانا طالب فى المدارس الثانوية ، يوم ان كنا نخرج فى مظاهرات صاخبة لنعلن احتجاجنا على صدقى ، لأنه - أساسا - فى نظرنا كان عميلا لبريطانيا ، وكنا نحن نريد أن يسقط صدقى لنأتى حكومة تحقق الجلاء ...

وفى عام ١٩٣٥ ، كنت قد اوشكت أن انتهى من دراستى الثانوية ، واذكر اننا فى ذلك العام لم ننتظم فى الدراسة أبدا بسبب تصريح صمويل هور، الوزير البريطانى وقتذاك ، فى الجيلد هول ..

وكيف أننا حين وصلنا فى مظاهراتنا الى ميدان باب الحديد تصدت لنا المدافع الرشاشة الانجليزية من مزاغل قشلاق باب الحديد ، وكانت قد اعدت خصيصا بالصلب والفولاذ ، ليحتمى من ورائها جنود بريطانيا وهم يقذفوننا - نحن العزل - بالنار والهلاك ...

من هذا اليوم ، اذكر اننى بدأت افكر تفكيرا خاصا . فعزيز على النفس ، وانا فى بلدى وعلى ارض وطنى ، ألا أستطيع ان اعبر عما أحسه ضد الاحتلال ، لأن جنود هذا الاحتلال - يتربصون بى فى مزاغل تحميهم فوق ارض وطنى بالذات ..!

ولم يكن هذا شعورى أنا وحدى ، وانما كان شعور الآلاف من الطلبة ، والملايين من أبناء هذا الشعب ، الذين لم يستكينوا لحظة واحدة لفكرة الاحتلال ، والذين ما فتئوا بين الحين والآخر يظهرون عداوتهم واحتجاجهم كلما كانت تسمح لهم الظروف ، برغم أن السلطات الحاكمة وقتذاك تعتبرهم خارجين على القانون . فالحكام المصريون كانوا ظلا من ظلال الاحتلال ، وقصر الدوبارة بالنسبة لهم ، كان هو مصدر السلطان ..!

وسمعت ، وسمع غيرى ، عن تاريخ قصر الدوباره .. وعن الاوردات الذين يسكنون قصر الدوباره

ولحسن الحظ نشا جيلنا متحررا من تلك القيود التى فرضها الاحتلال على عقول أجيالنا الماضية ساستها ، حتى كان السياسيون اذ ذاك يختلفون فيما بينهم ، ويكيل كل منهم لزميله ابشع الوان السباب والشتائم ، ولكنهم كانوا يتفقون فيما بينهم على تقديس قصر الدوباره ، والخوف من الاسد الذى يربض فى قصر الدوباره ..!

لذلك لم يكن غريبا فى سنة ١٩٤٥ أن تتجه الجمعية السرية التى كونت وقتذاك من فرعين ،الفرع الاول من خلية من خلايا الضباط الاحرار ، والفرع الثانى من خلية مدنية ، وهم الذين عرفوا فيما بعد فى قضية اغتيال امين عثمان ...

اقول .. لم يكن غريبا أن تتجه هذه الجمعية أول ما تتجه الى قصر الدوباره ، لتصفى معه الحساب !

كانت الخطة فى كلمتين ، هى نسف السفارة البريطانية على راس اللورد كيلرن المشهور . ولعل الناس يذكرون انه فى نهاية هذه السنة بالذات ، أو فى اكتوبر على التحديد توجه النقراشى الى السفارة البريطانية بطلبين محددين هما الجلاء والوحدة ..

ووصفت لنا الجرائد وقتذاك كيف ان اللوردكيارن قابل النقراشى مقابلة جافة استنكر فيها فعلا أن يكون النقراشى قد بلغ من الشطط الى حد أن يتجرأ فيأتى الى السفارة البريطانية طالبا الجلاء والوحدة ! بل ان الجرائد تعمدت ان تصور لنا منظرا مؤسفا شهده سلم السفارة، كان فيه النقراشى يطلب وكيارن يستنكر ويتعجب ...

فى خلال يومين تنتهى لجان الصياغة من مهمتها ، ويتم توقيع اتفاقية الجلاء . والتحرير تقدم هذا العدد الخاص بالجلاء فى اكبر مناسبة ترقبتها مصر وكافح من أجلها ابناؤها الاحرار ...

وكالعادة طبعا كانت لندن قد بدأت تطالب بحقوقها فى حماية مصر من الالمان والطليان ، وكانت تشير بالحاح الى ما تكبدته من الملايين الكثيرة ، ومن الوف الأرواح ، فى الدفاع عن مصر العزيزة عليهم..!

ثم تتساءل لندن فى عجب عن هذا الجحود الذى تقابل به من مصر بعد كل ما فعلته ، فتطلب منها الجلاء والوحدة ...

جلسنا نفكر فى قهوة « كلاريدج » الواقعة فى ميدان الاسماعيلية ، ولهذه القهوة ممر صغير بين العمارة التى تقع فيها والعمارة التى الى جانبها ، واتخذنا من هذا الممر مجلسنا لنرسم الخطة التى لا بد أن تنتهى بنسف السفارة ، ومعها ذلك الجبان المنغطرس كيلرن المشهور ..!

اقتضى الامر أن نعمل استكشافا مبدئيا ، واتضح لنا بعد هذا الاستكشاف ان العملية تحتاج الى مزيد من الدراسة ، لأننا نريد أن ننسف المبنى الاساسى لا المبانى الفرعية ... فهذا المبنى الاساسى هو الذى يعيش فيه السفير ، وهو الذى شهد خيانات رجال السياسة المصريين وخنوعهم ، وهو الذى كانت تدبر فيه المؤامرات لاذلال هذا الشعب الذى لا بد أن ينتقم ...

وبدلا من أن نستعمل « الجليجنيت » وحده تعدلت الخطة الى استعمال كميات اخرى من الـ T.N.T كان لا بد أن نحصل عليها ، ولم يكن لدينا فى ذلك الوقت الا « الجليجنيت » ..

واقتضى الاستكشاف أن نعاين السفارة من ناحية النيل ، فاستاجرنا مركبا قضينا فيه زهاء الساعتين نلف ونروح ونغدو ، ثم عاينا الضلع البحرى ، وكان هو المكان الوحيد المناسب لكى ينفذ منه المنفذون ويضعوا المواد المتفجرة ...!

ودرسنا طرق الانسحاب ، وتغطية عملية النسف، وانسحاب المنفذين . واذكر اننا اتخذنا قرارا بتألهم اذا ما كان خلاصهم مستحيلا ، وكان هذا القرار عاما لأن من سينفذ سينتخب بالقرعة كمبدا هذه الجمعية ...!

وقد لا يعرف الناس ان هذه المحاولة لم تكن الاولى بل ان هناك محاولة تمت فى عهد صدقى حين وضعت قنابل مصنوعة صنعا محليا على جدار السفارة البريطانية وانفجرت ولم يصل البوليس السياسى الى الذين وضعوها ولفقوا قضية ابراهيم الفلاح المشهورة واعقى حكم فيها على كثيرين هم ابرأ من الذئب من دم ابن يعقوب ، لان الرجلين اللذين قاما بهذه العملية الاولى يعيشان بيننا الآن ، واحدهما كان فى التشكيل السرى للضباط الاحرار ، اما الآخر فهو مهندس زراعى صعيدى له نشاط كبير فى هذه الايام ...!

وأعود الى حديث النسف ، فاقول انه لما كنت أعمل ضابط اتصال بين فرعى الجمعية المدنى والعسكرى ، فقد حملت الخطة بالكامل الى الفرع العسكرى ، ثم الى جمال عبد الناصر

وتناول جمال عبد الناصر النتائج السياسية التى تترتب على هذا العمل ، وأمضينا ساعتين فى المناقشة ، ثم انتهت المناقشة بان رفض جمال تنفيذ هذه الخطة حرصا على مستقبل البلاد وكانت حيثياته تتلخص فى أننا فقدنا فى قنبلة السردار نصف الوادى علاوة على الغرامة المالية الباهظة ، والاجراءات الاستثنائية الرهيبة ، التى نفذها الانجليز استغلالا لذلك الظرف ...

ثم عاد يتساءل جمال ...

ترى ماذا سيصنع الانجليز بمصر ردا على هذا العمل ، وحكومتها مستخذية ضعيفة ، واحزابها مفككة متنافرة ، وملكها مستهتر يرعبه مجرد ذكر اسم كيلرن امامه ؟!..

وفى هذا اليوم من نوفمبر سنة ١٩٤٥ قضى على هذه الخطة أن لا تنفذ ، واستعيض عنها بخطط أخرى نفذت ، وسياتى الوقت لاعلانها كما أعلنت اختها هذه ...

هذا ما أوحى الى به الجلاء ، وسيظل الجلاء ابدا مرتبطا بتلك المقاومة الرائعة والكفاح الشعبى الذى خلد شعب مصر ، وانتهى به الى هذه النهاية السعيدة من غير أن تراق نقطة دماء ..!